الحجاج الفلسفي2

السداسي الثاني

ماستر2.

الدكتور: لزهر عقيبي

عنوان الماستر: فلسفة عامة.

السداسي: الثاني
اسم الوحدة: منهجية.
اسم المادة: الحجاج الفلسفي2
الرصيد: 3
المعامل : 2

أهداف التعليم :

- يهدف الخطاب الفلسفي بالارتقاء بالطالب إلى مستوى التسامح الفكري والابتعاد عن العنف والتطرف.
- التأسيس لذهنية ونفسية قبول الرأي الآخر والتأسيس للاختلاف البناء.
- بناء ذهنية الإقناع والبرهان والحجاج العقلاني المؤسس على الأدلة والبراهين.

المعارف السابقة:

محاور المادة:

- نظرية الحجاج في الفلسفة الإسلامية (علم الكلام، البلاغة، فنون، المناظرة، الجدل)
- نظريات الحجاج التداولي.
- نظريات الحجاج المنطقي والطبيعي.
- آليات المقاربة الحجاجية.
- البرهان في اللغة الرمزية.

طريقة التقييم: متواصل - امتحان

المحور الأول: نظرية الحجاج الفلسفي في الفلسفة الإسلامية.

المحاضرة01: الحجاج في علم الكلام الإسلامي

تمهيد:

لم يتناول الفلاسفة المسلمون مسألة الحجاج الفلسفي كقضية فلسفية خاصة في فلسفتهم، أي لم يفكروا فيه كقضية فلسفية مستقلة تحتاج إلى تحليل طبيعتها ووظائفها وأهميتها في الخطاب الفلسفي، و مع ذلك، استخدموه في تحليل المشكلات الفلسفية التي إعترضتهم، وفي الدفاع عن آرائهم فيها أو تفنيد آراء أخرى. حيث يشهد الخطاب الفلسفي عند ابن رشد والكندي وابن سيناء والغزالي على قوة الحجج العقلية والنقلية التي يتضمنها، لكن عندما نعتبر علم الكلام جزءا لا يتجزأ من الفلسفة الإسلامية، عندها يجب أن ننظر للفلسفة الإسلامية بشكل أوسع، أي نوسع مجال الفلسفة الإسلامية ليشمل علم الكلام والجدل والمناظرة والبلاغة والفن، عندها سنجد عناية بعض مفكري الإسلام بقضية الحجاج وأساليبه، ومنه فإن الإشكالية المحورية المطروحة علينا هنا هي التساؤل عن طبيعة الحجاج في مختلف تلك المجالات المذكورة، والمرتبطة بالفلسفة الإسلامية: كيف نظر فلاسفة الإسلام ومفكريه إلى مفهوم الحجاج ؟

تعريف علم الكلام :

يرى ابن خلدون أن علم الكلام هو : " علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية باستخدام الأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن أهل السلف وأهل السنة."[1] ، فهذا يدل على أنه وجد كعلم يدافع عن القضايا الأصولية الأساسية مثل : وجود الله وصفاته، ووجود العالم الآخر ، العقاب الإلهي ، الحشر، الحرية، القدر مسألة قدم القرآن....الخ.

أما الزركشي فإنه يعرف علم الكلام أنه " الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع له المعاند فيه "[2] أي لا يعود بعد ذكر الحجة للمعنى المقصود من خلط و لا غموض، حيث يتضح المعنى للمتلقي.

نشأته: يعتبر علم الكلام علما إسلاميا أصيلا، وعلما حجاجيا بمعنى الكلمة، حيث " برزت أهمية الحجاج خاصة في البرهنة على الفرضيات الكلامية المتعلقة بكلام الله وقضية خلق القرآن والصفات، حيث بدأ مع تناول هذه القضايا الاهتمام الفعلي بتوظيف الآليات اللغوية والبلاغية والسياقية المقامية من أجل ترجيح قضية على غيرها,"[3] فهو قد نشأ عن ظروف خاصة في تاريخ المسلمين أهمها:

- الدفاع عن العقيدة الإسلامية وعن قضاياها الأساسية بحجج عقلية.
- المشاكل السياسية بين المسلمين كالخلاف في قضية الإمامة التي طرحت إشكال ما هو الأحق بالسلطة بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وعن هذه الإشكالية نشأت الفرق الكلامية الأولى كالمرجئة والشيعة و أهل السنة و الجماعة.
- الرد على المبتدعين و المنحرفين، الذين واجهوا انتشار الإسلام من الشعوب الأخرى بالنقد والتشكيك والتحريف والتزييف لمقاصده وآياته وأشخاصه وتاريخه. ومن ذلك رد ابن قتيبة على خصوم القرآن في كتابه " تأويل مشكل القرأن " حيث " يقوم أولا بتصنيف مطاعنهم، ثم الرد عليها بصفة إجمالية من خلال أربعة أبواب: باب الرد عليهم في أبواب القراءات، باب ما أدعي على القرآن من اللحن، باب التناقض والاختلاف، باب المتشابه "[4]

و يمكن التمييز بين نوعين من علم الكلام: علم الكلام الكلاسيكي وعلم الكلام المعاصر في الفكر العربي الإسلامي، حيث تصدى كلاهما لما يلحق القضايا الإعتقادية والإسلامية من تفسيرات خاطئة وتشويه ظالم.

أ- علم الكلام الكلاسيكي:

أدرك علماء الكلام الكلاسيكيين المسلمين أهمية الحجاج في علم الكلام و لذلك فكروا في الوسائل المختلفة التي تعزز الحجاج سواء كانت لغوية أو بلاغية أو منطقية، وظهرت في هذا المجال اتجاهات عديدة منها : الاتجاهات الأدبية الخطابية و يمثلها خاصة الجاحظ في كتابه " البيان و التبيين " و الاتجاه الثاني : اتجاه منطقي يمثله ابن وهب في كتابه " البرهان في وجوه البيان " الاتجاه الثالث : اتجاه بلاغي منطقي و يمثله السكاكي في كتابه " مفتاح بيان العلوم ". مع العلم أن مصطلح الحجاج يأخذ بمصطلح البيان في الفكر الكلامي الكلاسيكي ، و هذا التداخل بين المصطلحين يظهر أكثر من خلال كتاب الجاحظ " البيان والتبيين " ولذا سنأخذ الجاحظ كمثال بارز باعتباره أديبا أولا ومعتزليا ثانيا أي ينتمي إلى مدرسة من مدارس علم الكلام الإسلامية.

الحجاج عند الجاحظ (150ه- 225ه): هو أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري، واسم الجاحظ يأتي من جحوظ عينيه، وقد عاصر الجاحظ أهم فترة زاخرة بالثقافة والعلم في عهد الخلافة العباسية في العراق، من أهم آثاره " البيان والتبيين" ، " البخلاء" " الحيوان". وهو

---

[1] د. جميل حمداوي: نظريات الحجاج. شبكة الألوكة. أرشيف موقع لسان العرب. مرجع سابق. ص: 13

[2] عباس حشاني: أبعاد النظرية الحجاجية ومظاهرها عند المفسرين وعلماء الأصول. مجلة الممارسات اللغوية, العدد 20. 2013. جامعة مولود معمري تيزي وزو. الجزائر. ص: 5.

[3] المرجع نفسه. ص: 6.

[4] المرجع نفسه. ص: 6.

أديب ومفكر، وأحد شيوخ المعتزلة ورئيس أحد فرقها التي سميت باسمه " الجاحظية "، وقد اشتهر بحجاجه عن اللغة العربية والإسلام باستخدام الحجج العقلية ضد النزعة الشعوبية في عصره.

لقد تميز منهج الجاحظ بطابعه العقلي الرصين، فهو لم يكتف بالمعرفة الحسية، بل حاول إخضاعها للعقل، أي يحاول التحقق منها عقليا، ليبعد الشك والوهم، وقد كان يعيب على أستاذه " النظام " الذي كان يبني أقيسته على أصول ومبادئ لم يتحقق منها عقليا. والى جانب ذلك، فقد كان الجاحظ أكثر فصاحة وبلاغة بين مفكري عصره، وأحد الأقطاب المؤسسين للبيان العربي.

دراسة الباحثين المعاصرين للحجاج في كتاب الجاحظ " البيان والتبيين " لاسيما الأستاذ (محمد العمري) في كتابه: (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) يظهر ارتباط مفهوم الحجاج بمفهوم البيان عند الجاحظ، " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب عن الضمير."[5] ويتخذ عند الجاحظ طابعا إجرائيا عمليا، لأن غرضه هو الفهم والإفهام.[6] مفهوما الفهم والإفهام تتضمنان معاني المعرفة والتوجيه والتأثير في المتلقي قصد تغيير رأيه، لكن يتضمنان أيضا نفي الغموض والخطأ والمغالطة والشبه، وهذا محتمل جدا بالنسبة لأديب ومتكلم مثل الجاحظ قد واجه النزعة الشعوبية ودافع عن القرآن وتصدى لأهم المسائل الكلامية في عصره من وجهة نظر عقلية. ولم يخرج علم الكلام عنده عن الجانب التفاعلي الحواري والتداولي لحياة الناس في عصره، وبالتالي يصدق عليه ما قاله الأستاذ " طه عبد الرحمان" بشأن تداولية علم الكلام " فمنهج " الفلسفة التداولية " ليس إلا المناظرة، ولا يزال المرء فيلسوفا ما ناظر غيره أو ناظره غيره، فإذا صار إلى إنكار مناظره ونظر بمفرده وبرهن، قصر عن غرضه واغتصب ما لسواه "[7]

وانتهى الأستاذ محمد العمري إلى نفس الرؤية، إذ يرى أن البيان الجاحظي يأخذ ثلاثة وظائف أساسية في كل أشكال النصوص:[8]

- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية: هدف المخاطب هنا هو الإخبار قصد الإفهام.
- الوظيفة التأثيرية: و هنا قصد المخاطب استمالة المتلقي و التأثير فيه بعدما وجد انه ينفر من الموضوع
- الوظيفة الحجاجية : و تظهر أكثر في حالة الخصام بين المخاطب و المتلقي، فيضطر للحجاج.

لكننا مادمنا نتكلم عن علم الكلام والجاحظ من الأدباء والمتكلمين المعتزلة، فسنكتفي هنا برد الجاحظ على النزعة الشعوبية في عصره بشكل عام وحجاجه عن القرآن الكريم:

الشعوبية هي نزعة الشعوب -التي عرفت الإسلام حديثا- إلى العودة لتراثهم وثقافتهم والدفاع عنها، ومن ثم التشكيك في مبادئ الإسلام ولغته و تشويه العرب الذين أتوا به.

تقوم مناظرة الجاحظ للنزعة الشعوبية على تحديد مجالات طعنهم، وهي: الفروسية والحرب، الخطابة والبيان، اتخاذ العصا والمخاصر في الخطابة والشعر، وأخيرا لبس العمائم، وهذا التحديد يفضي إلى معرفة آرائهم، ومن ثم دحضها بالجدل العقلي والميل إلى الإقناع بالتركيز على وجهة نظر معينة.

وبنفس الطريقة حاجج الجاحظ أيضا عن القرآن، حيث كتب في كتابه " نظم القرآن ": "
فكتبت لك كتابا أجهدت فيه نفسي، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلي في الإحتجاج للقرآن، والرد على كل طعان: فلم أدع فيه مسألة لرافضي، ولا لحديثي، ولا لحشوي، ولا لكافر مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظام، ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن خلق، وليس

---

[5] د. محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:191.

[6] المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

[7] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص: 67.

[8] د. محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 212.

تأليفه بحجة، وأنه تنزيل، وليس ببرهان ولا دلالة "[9] وهو في هذا النص يعتمد في الحجاج على تنزيه القرآن من جهة، ومن جهة أخرى الرد على الخصوم الظاهرة أصنافهم في النص[10]
مثال آخر عن الحجاج في علم الكلام الإسلامي نجده في المقابلة بين المعتزلة والأشاعرة في الدفاع عن القضايا الأصولية الإسلامية، فقد تبنى المعتزلة منهجا عقليا منطقيا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وكانوا يؤولون الآيات القرآنية على أسس عقلية، فاستخدامهم للنقل كان في سياق العقل والمنطق، وقد استفادت فرقهم المتأخرة من التراث المنطقي الأرسطي خاصة والفلسفي اليوناني بشكل عام. " وقد دافعت عن حرية الإنسان في خلق أفعاله على غرار القدرية (...) ضد الجبرية (...) التي كانت تقول أن الانسان مجبر على أفعاله خيرا وشرا. وقد قالت المعتزلة أيضا بنظرية الصلاح والأصلح "[11] ومن المهم أن نعرف أن تفسيرهم لقضية حشر الأجساد مثلا أو رؤية الله أو إستوائه على العرش كانت تقوم على العقل، حيث نفوا عن تلك القضايا الطابع المادي وأسسوها على الجانب الروحي العقلي الذي ينسجم مع رؤيتهم.
أما الأشاعرة فقد أسسوا حجاجهم على العقيدة الإسلامية بالاستناد إلى العقل والنقل معا، فلو كان العقل وحده كافيا لمعرفة الحق لما نزل الشرع، ولما أرسل الله للناس الأنبياء والرسل، ومن جهة أخرى، فإن الشرع في الكتب المنزلة من الله لا تفهم إلا بالعقل، فالشرع هنا لا يعمل عمل المؤسس للاعتقاد، بل عمله هو عمل السمع والفهم، ومن هنا كانت الحجج التي يعتمد عليها الأشاعرة هي الحجج العقلية والنقلية معا.
نستنتج أن علم الكلام الإسلامي الكلاسيكي يتضمن فكرة الحجاج و يوظفها في الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

ب- علم الكلام الإسلامي المعاصر:

نشأ علم الكلام الاسلامي المعاصر أيضا في إيران مع " علي شريعتي " و في مصر مع "حسن حنفي"، وفي المغرب مع " طه عبد الرحمان" الذين حولوا الاسلام إلى " إيديولوجيا ثورية" للدفاع عن عقيدة المسلمين و قضاياهم المعاصرة. غير أن علم الكلام الإسلامي المعاصر لم يبق محصورا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، بل توسع للدفاع عن ما يعتقده علماء الكلام المعاصرين من وجهة نظر الإسلام السياسية والتربوية و الاقتصادية والاجتماعية ..الخ .
ومن المهم ان نضرب مثالا بارزا لعلم الكلام الإسلامي المعاصر في شخص الفيلسوف والمفكر المغربي طه عبد الرحمان . فقد حاول هذا المفكر إيجاد علاقة بين المذهب الكلامي و الحجاج الخطابي فلاحظ أن الخطاب الكلامي و الخطاب الفلسفي التداولي لا يختلفان من حيث شروطهما الاستدلالية الحجاجية ، لان كلاهما يستخدم الاستدلال الحجاجي ، وأن علم الكلام يتصف بخصائص تداولية تفوق الخطاب الفلسفي العقلاني والبرهاني، لأنه كان دائما مرتبطا بالمناظرة والجدل والحوار التفاعلي، " ذلك أن طريقة المناظرة الجدلية تشمل كل مناحي الفكر الاسلامي، وكنا نعلم، من جهة أخرى أنها في عرف من تأثر بأرسطو تفيد الظن وحسب، في مقابل منهج المنطق الذي يفيد اليقين. أيعني هذا أن الجزء الأكبر من المعرفة الاسلامية لا يرقى الى مستوى اليقين ويكون طلبه غير نافع و لا واجب؟ "[12]
يجيب طه عبد الرحمان بـ: لا، لأن المسلمين قد أعطوا للمناظرة شروطها العلمية الموضوعية التي تجعلها أقرب إلى الحق والحقيقة، ولذلك اجتهدوا في وضع قوانينها وشروطها، بل ساهم المسلمون " في رد المنطق الى الجدل: هذا المشروع الذي يترتب عنه أن النظر العقلي في أصله مناظرة، وأن ما يدعى " بالعقلانية " إن هو الا " معاقلة " "[13]

---

[9] د. محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مرجع سابق، ص: 154.
[10] المرجع نفسه. الصفحة نفسها.
[11] د. جميل حمداوي: نظريات الحجاج. مرجع سابق. ص: 14.
[12] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص: 69.
[13] المرجع نفسه. ص: 70.

هذا يعني أن الحجاج الفلسفي التداولي مثل الخطاب في علم الكلام يتطلب المناظرة والحوار والجدل ويستخدم الوسائل الحجاجية المختلفة اللغوية و المنطقية و التواصلية الحوارية التي تراعي ثقافة المتلقي و مستواه و سياقه الاجتماعي و السياسي ..الخ